



أما وقد شارت الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية على نهايتها، أخذ تركيز الإدارة الأمريكية يتوجه الآن نحو التحدي الآخر الذي يواجهها في الشرق الأوسط، وهو إيران. وقد بدأت مظاهر هذا التركيز تبلور بوضوح الأسبوع الماضي، مع كشف الرئيس، دونالد ترامب، عن استراتيجية نحو إيران، والتي تزامنت مع انتهاء معركة الرقة، وأعلن فيها رفضه إعادة التصديق على الاتفاق النووي، وعزمها استهداف برنامج إيران الصاروخي، وحرسها الثوري. ولتنفيذ هذه الاستراتيجية، أوفد ترامب وزير خارجيته، ريكس تيلرسون، إلى المنطقة، للعمل على تنفيذ المرحلة الأولى منها، أي حشد الحلفاء لتصعيد محتمل مع إيران.

حاول تيلرسون، خلال الزيارة، ضرب عصوفرين بحجر واحد، فقد من جهةٍ مسعيًّا بدا محل تشكك لكثيرين، لإخراج بغداد من تحت المظلة الإيرانية، ووضعها تحت المظلة السعودية، فجرى الاتفاق على إنشاء مجلس أعلى للتنسيق بين البلدين، الفكرة الأساسية من ورائه أن تموّل الرياض عملية إعادة بناء المدن المدمرة في الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية، خصوصاً الموصل، في محاولةٍ لتعزيز موقع رئيس الوزراء، حيدر العبادي، في مواجهة المعسّر المولالي لإيران، بقيادة رئيس الوزراء السابق، نوري المالكي، والذي سقطت الموصل في عهده. من جهةٍ ثانية، قام تيلرسون بمحاولة جديدة لرأب الصدع في الصف الخليجي، بعد أزمة حصار قطر. المفارقة أن حظه من النجاح في جمع السعودية والعراق كان أكبر من حظه في جمع السعودية وقطر.

وكان لافتاً خلال ذلك كلّه مطالبة تيلرسون المليشيات الموالية لإيران بالاندماج في الجيش العراقي، أو حلّ نفسها، أو الرحيل عن العراق. كما طالب الوزير الأميركي حلفاء بلاده الأوروبيين بوقف كل أشكال التعاملات التجارية مع طهران، والانضمام للولايات المتحدة في فرض عقوباتٍ على نشاطات الحرس الثوري.

في الأثناء، بدأت إدارة ترامب تعود إلى التركيز على الوضع السوري، لمنع إيران من الحصول على "الكوريدور" اللازم،

لتحقيق التواصل الجغرافي بين مناطق نفوذها في العراق وسوريا، ومنها إلى لبنان، بعد أن بدا وكأنها تراحت عن ذلك، في ذروة الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية، خشية فقدان دعم الميليشيات الموالية لإيران في العراق. وكان لافتاً إعلان إدارة ترامب أخيراً أن سياستها السورية تقوم على "منع طهران من بسط نفوذها في المناطق التي كان يسيطر عليها داعش، والتي تشمل دير الزور وجنوبها". وقد جاء هذا الكلام على لسان مستشار الرئيس ترامب لشؤون الأمن القومي، الجنرال هوبرت مكماستر، والمولج بمهمة تنسيق استراتيجية مواجهة إيران، في محاضرته يوم 25 سبتمبر/أيلول الماضي، في معهد دراسات الحرب في واشنطن. وقد بدأت ترجمة هذا التوجّه بتوفير دعم أمريكي أكبر لوحدات حماية الشعب الكردية، للسيطرة على الجزء الأكبر من محافظة دير الزور، وكان آخرها الاستيلاء على حقل العمر، أكبر حقول سوريا النفطية.

شعور موسكو بوجود تحرك أمريكي-إسرائيلي مدعوم من دول خلجية لمحاصرة النفوذ الإيراني في سوريا هو ما دفع، على الأرجح، وزير الدفاع الروسي، سيرغي شويغو، إلى زيارة إسرائيل منتصف الشهر الجاري، في محاولةٍ على ما يبدو، للتوصّل إلى اتفاق حول طبيعة (وحدود) الدور الإيراني الذي يمكن أن تقبل به إسرائيل في سوريا، للحيلولة دون توجيه ضربةٍ لميليشياتها هناك، توقع موسكو في حرج كبير. في هذا السياق أيضاً، يمكن فهم تصريحات وزير الخارجية الفرنسية، جان إيف لودريان، الرافضة تسليم مدينة الرقة إلى قوات النظام السوري.

مع ذلك كله، لا تبدو فرص نجاح الجهود التي يبذلها مساعدو الرئيس ترامب لتنفيذ استراتيجية احتواء إيران كبيرة، فقد فشلت واشنطن في حمل السعودية على الاستجابة لدعوات الحوار لحل خلافاتها مع قطر، لسد الطريق على إمكانية استفادة إيران من الأزمة. كما أن دعم واشنطن للأكراد يهدد بتحويل الصراع في سوريا من مواجهة قدمها الإعلام الغربي للعالم باعتبارها "حرباً طائفية"، إلى حرب عربية - كردية، يجد فيها العرب في سوريا والعراق أنفسهم أقرب إلى الموقف الإيراني، في مواجهة الأكراد المدعومين أميركياً. فوق ذلك، تغدو محاولات جمع عرب "الاعتدال" وإسرائيل في معسكر واحد، بذرية مواجهة إيران بمثابة صاعق يهدّد "بخربيطة" كل الاصطفافات الإقليمية، وإحداث نتائج عكسية، تفضي إلى تعزيز موقع إيران، بدل عزلها.

المصادر:

العربي الجديد